عمان

في كتابات جغرافيي القرنين الثالث والرابع للهجرة

الدكتور عبد الأمير عيد دكسن

لا شك أن تاريخ عمان في العصور الوسطى لا يزال بكرا ، لم يحظ بعد بما يستحقه من عناية من لدن الباحثين المحدثين عدا النزر اليسير (1) مما كتب عن تاريخ هذا الجزء من الوطن العربي ، فانه لا يزال بحاجة الى المزيد من الدراسات العلمية الموضوعية التي تكشف الغموض عنه وتجلي معالمه التي لا يزال الكثير منها ـ مع الأسف ـ خافيا علينا .

ولعل هذا النقص في الدراسات عن تاريخ عمان الوسيط يعود بالدرجة الأولى الى قلة المادة التاريخية وندرتها في مصادرنا التاريخية بشكل عام ، وذلك لأن رواياتنا التاريخية لم تكن لتعني نفسها كثيرا في العادة باحداث الأصقاع النائية من الامبراطورية العربية الاسلامية ، بل ركزت جل اهتمامها على احداث مركز الخلافة وكذلك على ما يجري في تلك الأجزاء القريبة من المركز. وهكذا فان احداث تاريخ عمان لم يعالج الا باقتضاب شديد من جانب هذه المصادر .

ومع ذلك فانه لمن الجائز أيضا أن تاريخ عمان في هذه الفترة كان قد كتب شأنه شأن غيره من التواريخ الأخرى ولكنه لم يصل الينا بشكله التام المتكامل بسبب كون غالبية سكان عمان في هذه الفترة التي نحن بصددها من معتنقي مذهب الخوارج الاباضية ، وهذا بلا شك يعني أنهم كانوا خارجين على السلطة المركزية الشرعية « الخلافة » . وهكذا فمن غير المستبعد أن تكون السلطة آنذاك قد لعبت دورا في طمس أخبارهم ومنع تدوينها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الموقف العدائي بين السلطة وبينهم ربما كان قد جعل الرواة أنفسهم يتهيبون من تناقل مثل هذه الأخبار وتدوينها .

على أنه مما يضيف الى معلوماتنا عن تاريخ عمان في هذه الفترة موضوعة البحث ، ويسد جزءا من هذا النقص ، هو ما نجده في كتب الجغرافيين العرب والمسلمين وخاصة أولئك من القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي ، لكون كتاباتهم تتسم بنوع من الأصالة بشكل عام ، رغم أن التأثر بجغرافيي اليونان يظهر في البعض منها . ومن بين جغرافيي هذه الفترة الذين ننوي أن

نستعرض ما قدموه من مادة عن عمان : ابن الفقيه الهمداني (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م) وابـن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) ، وابن رستـه (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، وقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ، والهمداني (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) ، وابن حوقـل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٩ م) ، والمقدسي (ت حوالي ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ، والاصطخري (ت النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ٠

وتزداد أهمية المادة التي يقدمها هؤلاء الجغرافيون اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن منهم من كان يشغل وظائف في الدولة آنذاك مما يسر له الاطلاع على أمور هامة ودقيقة كتلك التي تتعلق بطرق البريد والخراج والتجارات وطرقها ووسائلها ، ومن ثم فان هذه المادة التي يقدمها لنا جغرافيونا هؤلاء هي أشبه ما تكون بمادة وثائقية حصلوا عليها بحكم الوظائف التي شغلوها ٠

لقد كان ابن خرداذبة صاحب البريد في اقليم الجبال من بلاد فارس ، وكان ابن رستة يشغل منصبا حكوميا لا نعرف طبيعته بالضبط ٠ أما قدامة بن جعفر فكان يتولى الخراج ٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان كلا من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي كان من أصحاب الرحلات والأسفار ٠ فابن حوقل مثلا شاهد جميع الأصقاع التي كتب عنها وعاينها ما عدا الصحراء الغربية الكبرى فانه يقر بعدم مشاهدته لها جميعها ٠ أما المقدسي فقد سافر هو الآخر الى جميع أنحـاء العالم الاسلامي المعروفة آنذاك عدا الأندلس والسند وسجستان ٠ ومن هنا فان ما ذكروه بهذا الشأن كان وصف مشاهد معاين مما يجعل لمادتهم أهمية خاصة تختلف عن تلك التي تقوم على السماع والرواية الشفوية فقط ٠

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن المقدسي يقدم مادة غزيرة عـن عمان تمتاز بدقتها وتفصيلاتها مما جعله متميزا عن أقرانه في هذا المجال ٠

ولسنا هنا في مجال الكتابة عن تاريخ عمان عامة أو التطرق الـى حدث من أحداثه ، بل نود أن نلفت النظر الى المادة التي يقدمها هؤلاء الجغرافيون عن عمان وطبيعتها من خلال استعراضها مما قد يعين الباحث في هذا المجال ليضيفها الى ما هو متوفر في كتب التاريخ المحلي ، وبذلك تكتمل الصورة لديه ، أو تكاد عن تاريخ هذا القطر الخليجي في العصر الوسيط ٠

أسماء عمان وموقعها وحدودها :

ينفرد كل من الهمداني والمقدسي من بين الجغرافيين الذين نحن معنيين بهم بذكر أسماء أخرى لعمان· فيذكر الاول : «وكذلك تسمى عمان منقطع التراب» (٢)· أي منقطع الارض بالبحر · وهذا بلا شك انعكاس لطبيعة أرضها وموقعها الجغرافي · أما الثاني فيقول : « ··· ومن المدن ما لها أكثر من اسم نحو عمان صحار مزون » (٣) · ولعل هذه التسمية الثانية ناتجة عن كون صحار وهي قصبة عمان الرئيسية حيث يصفها على النحو التالي : « ·· ليس على بر الصين اليوم بلد أجمل منه عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات ··· » (٤) · ولذلك فقد أطلق اسمها على عمان من باب تغليب الجزء على الكل لأهميته ·

وبينما لا يعطي الجغرافيون حدودا دقيقة لعمان فان كلا من ابن رستة والمقدسي يتفقان على وقوعها في الاقليم الاول (٥) · ولكن المقدسي من جهة أخرى هو الوحيد بين الجغرافيين الذي يعتبر جزيرة العرب وقد جعلناه أربع كور جليلة وأربع نواح نفيسة والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر والنواحي الأحقاف والأشجار ، اليمامة ، قرح ·· » (٦) ·

كذلك ينفرد المقدسي بذكر مساحة عمان ويحددها بثمانين فرسخا مربعا : « وعمان كورة جليلة تكون ثمانين فرسخا في مثلها » (٧) ·

أما الاصطخري فيدخل بلاد مهرة ضمن اقليم عمان استنادا الى السماع ويعترف بذلك اذ يقول : « واما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشحر ··· ويقال انها من عمان » (٨) ·

من كل هذا يمكن الاستنتاج ان جميع هؤلاء الجغرافيين متفقين على أن عمان بلد متميز دون أن يحددوه بصورة دقيقة ، وحتى المقدسي الذي ميز نفسه بذكر مساحتها لم يذكر الزمن الذي كانت فيه كذلك ، خاصة وان الحدود السياسية والادارية لم تكن ثابتة ، بل عرضة للتوسع والانكماش ·

مدن عمان وضواحيها :

يعدد المقدسي عند ذكره عمان ستة عشر مركزا ، هي : صحار ، نزوة ، السر ، ضنك ، حفيت ، دبا ، سلوت ، جلفار ، سمد ، لسيا ، ملح ، برنم ،

القلمة ، ضنكان ، مسقط ، توأم • وقد أطلق على أولها وهي صحار اسم القصبة أي مركز عمان ، وأهم مدينة فيها • وقد وصفها بشكل مفصل على النحو التالي : « وهي قصبة عمان ليس علـى بحـر الصين اليوم بلـد أجل منـه عامر آهـل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات أسرى من زبيد وصنعاء ، أسواق عجيبة ، وبلدة طريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج ، شاهقة نفيسة ، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ، ولهم آبار عذيبية وقناة حلوة ، وهم في سعة من كل شيء ، دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن قد غلب عليها الفرس ، المصلى وسط النخيل ومعبد صحار على نصف فرسخ ثم بركت ناقة رسول الله (ص) (٩) قد بني احسن بناء وهواءه أطيب هواء من القصبة ومحراب الجامع بلولب يدور تراه مرة أصفر وكرة أخضر وحينا أحمر » (١٠) •

أما الاصطخري فيقدم وصفا آخر لصحار يمتاز بالاقتضاب فهو يقول : « وهي على البحر ••• أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا ولا تكاد تعرف على شاطىء البحر » بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من يحار وبها مدن كثيرة ، وبلغني أن حدود أعمالها نحو ثلثمائة فرسخ » (١١) • وأخيرا يصفها الهمذاني بكونها أهم كور عمان : « أرض عمان كورتها العظمى صحار ، وأما قراها فأكثر مجامعها هرود من أوديتها » (١٢) •

ومن مقارنة هذه النصوص الثلاثة عن صحار ببعضها نجد أن المقدسي ينفرد بهذا الوصف الشامل الدقيق لصحار ، اذ لم يترك شيئا الا وصفه • ومن جهة أخرى يقدم المقدسي كذلك وصفا للمراكز الخمسة عشر الاخرى فيقول : « ونزوة في حد الجبال كبيرة بنيانهم طين والجامع وسط السوق اذا غلب الوادي في الشتاء دخله ، شربهم من أنهار وآبار قد التفت بها النخيل ، وضنك صغيرة في النخيل أبدا بها سلطان قوي لأنهم شراة عصاة ، وحفيت كثيرة النخيل من نحو هجر الجامع في الأسواق ، وسلوت مدينة كبيرة على يسار نزوة ، ودبا وجلفار وهما من نحو هجر قريبتان من البحر ، وسمد منبر لنزوة • ولسير وملح وبرنم والقلمة وضنكان مدن ايضا ، والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية ورأيته موضعا حسنا كثير الفواكه ، وتوأم قد غلب عليها قوم من قريش فيهم بأس وشدة » (١٣) •

وفيما عدا المقدسي لا يذكر أحد من جغرافيينا هؤلاء وصفا لأي مدينة من هذه المدن سوى ابن الفقيه الذي يشير الى مسقط من حيث موقعها فقط فيقول : « وهو آخر عمان » (١٤) •

وهكذا فالمقدسي لم يقتصر على ذكر أسماء المدن فحسب بل ميز بين صغيرها وكبيرها ، وصف أبنيتها وحدد موقع المسجد فيها وموقعها بالنسبة لبعضها البعض كما وصف حال أهلها ونوع ولائهم السياسي وما بها من أشجار وطريقة الري فيها ، ومن هنا يظهر تفوقه على سواه ·

خـراج عمـان :

يورد قدامة بن جعفر خراج عمان كما عمله ابن المدبر عام ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م ويحده كما يأتي : « ومقاطعة عمان مـن العين ثلثمائة الف دينـار » (١٥) · أما المقدسي فيقل هذا الرقم عن قدامة ولكنه يضيف الى ذلك أمرا مهما ذلك هو مقدار الضريبة التي كانت تؤخذ على كـل نخلـة فيذكر : « يؤخذ بعمـان من كـل نخلة درهـم » (١٦) ·

على انه مما يؤسف له حقا ان لا نجد عند الجغرافيين الأخوين ذكرا لخراج عمان او ما يتعلق بذلك ، مما يجعل من المتعذر مقارنة الأرقام ببعضها والاستنتاج منها · ومع ذلك فبالامكان القول أن هذا الرقم الـذي أورده قدامـة وأكده المقدسي يمكن الاطمئنان اليه طالما أن قدامة هذا من المعنيين بالخراج والمهتمين به والمتولين به وان كتابه يكاد يكون مكرسا له ·

المسافات من والى عمان :

يحدد ابن الفقيه المسافة بين سيراف ومسقط وهـي آخر عمان بـ « مائتي فرسخ » (١٧) ، أما ابن خرذابة فيحدد المسافات مـن البصرة الـى عمـان في البحر كالآتي : « من البصرة الى عبادان اثنا عشر فرسخا ثم الخشبات فرسخان ··· ومن الخشبات الى مدينة البحرين في شط العرب سبعون فرسخا ··· ومنها الـى الدردر مائة وخمسون فرسخا ثم الى عمان خمسون فرسخا » (١٨) ·

ويصف ابن حوقل المسافات بديار العرب قائلا : « أما المسافات بديار العرب فان الذي يحيط بها من عبادان الى البحرين نحو احدى عشرة مرحلة ومن البحرين الى عمان نحو شهر ومن عمان الى أوائل مهرة نحو مائة فرسخ ··· » (١٩) · ثم ينقل عن أبي القاسم المصري فيقول : « من عمان الى عدن ستمائة فرسخ ، منها خمسون

فرسخا الى المسقط عامرة وخمسون لا ساكن فيها الى أول بلاد مهرة وهي الشحر وطولها أربعمائة فرسخ والعرض في جميع ذلك من خمسة فراسخ الى ثلاثة فراسخ ... » (٢٠) .

ويصف المقدسي الطريق من عمان الى مكة محددا مسافاته : « وان أردتها من عمان فخذ من صحار الى نزوة ثم الى عجلة ٣٠ ميلا ثم الى عضوة ٢٤ ميلا وهو حصن ثم الى بئر السلاح ٣٠ ميلا ثم الى مكة ٢١ يوما فيها أربع مياه وثمان في رملة » (٢١) .

أما الاصطخري فيذكر : « ومن البحرين الى عمان نحو من شهر ومن عمان الى أرض مهرة نحو من شهر » (٢٢) .

ولعل مما يلفت النظر هنا هذا الاختلاف الواضح عند هؤلاء الجغرافيين في وحدة قياس المسافات ، فنجد ابن الفقيه وابن خرداذبة يستعملان الفراسخ بينما يستعمل ابن حوقل المراحل تارة والشهر تارة والشهر أخرى ، أما عندما ينقل عن أبي القاسم البصري فيرجع الى الفراسخ في المسافات . أما المقدسي فخلافا لكل ذلك يستعمل الميل بالدرجة الاولى واليوم بالدرجة الثانية . وأخيرا فالاصطخري استخدم الشهر فقط كوحدة قياس للمسافات دون غيرها . والذي يمكن قوله هنا أن اليوم والمرحلة متساويان عند هؤلاء الجغرافيين .

الطرق من والى عمان :

يصف ابن حوقل الطريق البري من عمان الى مكة بقوله : « يصعب سلوكه في البرية لكثرة القفار وقلة السكان ونما طريقهم في البحر الى جدة ... وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم » (٢٣) . أما الهمداني فيذكر أن طريق الحج البري في زمانه « يأخذ على يبرين وعلى الخن » (٢٤) .

وبينما يهتم ابن حوقل والهمداني في وصف طريق الحج البري من عمان الى مكة وما فيه من صعوبات ومشاق ، نجد كلا من ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر يصف الطريق الساحلي من عمان الى مكة . فيذكر الأول : « من عمان الى فرق ثم الى عوكلان ثم الى ساحل هباه ثم الى الشحر وهي بلاد الكندر ... ثم الى مخلاف كندة ثم الى مخلاف عبدالله بن مذحج ثم الى مخلاف لحج ثم الى عدن ، ثم الى

مغاص اللؤلؤ ثم الى مخلاف بني مجيد ثم الى المنجلة ثم الى مخلاف الركب ثم الى المندب ثم الى مخلاف زبيد ثم الى غلافقة ثم الى مخلاف عك ثم الى الجردة ثم الى مخلاف حكم ثم الى عثر ثم الى مرسي ضنكان ثم الى مرسي حلي ثم الى السرين ثم الى أغيار ثم الى الهرجاب ثم الى الشعيبة ثم الى منزل ثم الى جدة ثم الى مكة » (٢٥) • أما الثاني فيصفه على النحو التالي : « واما من عمان الى مكة فعلى طريق الساحل المنازل : فرق ، عوكلان ، ساحل مناه ، بلاد الشحر ، مخاليف كندة ، مخاليف عبدالله بن مذحج ، مخلاف لحج ، أبين ، عدن ، مغاص اللؤلؤ ، مخلاف بني مجيد ، المنجلة ، مخلاف الركب ، المندب ، مخلاف رمع ، زبيد ، مخلاف عك ، الحردة ، مخلاف الحكم ، عثر ، فمن أراد طريق الجادة أخذ من عثر الى العرش ثم جاز على طريق الجادة المخاليف ومن أراد الساحل أخذ من عثر الى مرسي ضنكان ثم الى مرسي حلي ثم السرين ثم أغيار ثم الهرجاب ثم الشعيبة ثم منزل ثم جدة ثم مكة » (٢٦) •

ومن المقارنة بين ما أورده الاثنان في هذا المجال نرى التشابه الواضح بينهما رغم بعض الاختلافات البسيطة في بعض الأسماء • ولكن قدامة بن جعفر يبدو أتم واكمل في وصفه لهذا الطريق اذ يذكر تفرعه عند عثر الى طريقين أحدهما بري والآخر بحري ، ومن هنا يظهر تفوقه على ابن خرداذبة •

أما بالنسبة للطريق من البصرة الى عمان في البحر فيتفق الاثنان كذلك في وصفهما له بشكل عام عدا ان ابن خرداذبة يبدأ به من البصرة وينتهي بعمان في حين أن قدامة بن جعفر يبدأ به من عمان وينتهي بالبصرة • فيذكر الأول : « من البصرة الى عبادان ثم الى الحدوثة ثم الى عرفجا ثم الى الزابوقة ثم الى المقرة ثم الى عصي ثم الى المعرس ثم الى خليجة ثم الى حسان ثم الى القرى ثم الى مسيلحة ثم الى حمض ثم الى ساحل هجر ثم الى العقير ثم الى قطر ثم الى السبخة ثم الى عمان وهي صحار ودبا » (٢٧) •

أما الثاني فيقول : « والمنازل من عمان الى البصرة السبخة وهي بين عمان والبحرين ، فطر العقير ، ساحل هجر ، حمض ، مسلحة القرنثين ، حسان ، خليجة ، المعرس ، عصي ، المقر ، الزابوقة ، عرفجا ، الحدوثة ، عبادان » (٢٨) •

الحياة الاقتصادية في عمان :

لم يعن الجغرافيون أنفسهم كثيرا في وصف الحياة الاقتصادية في عمان من حيث كونها زراعة وتجارة وصناعة • ومع ذلك فهناك اشارات كثيرة لكنها مقتضبة

تتعلق بهذه النواحي نجدها في كتاباتهم ، فيذكر ابن الفقيه ان عمان كانت مشهورة بالقتي فيقول : « ٠٠٠ والقتي من عمان » (٢٩) ثم يعدد ما فيها من أصناف التمور فيذكر : « ٠٠ قالوا أجود تمر عمان الفرض والبلعق والخبوث » (٣٠) ٠ وأخيرا يشير الى شهرتها بالأسماك قائلا : « ٠٠٠ ريف الدنيا من السمك ما بين ماهيرويان الى عمان » (٣١) ٠ وفي موضع آخر يقول : « وفي السمك عمان » (٣٢) ٠ ويذكر ابن الفقيه نقلا عن سليمان التاجر نصا يعكس أهمية عمان من الناحية التجارية وكذلك يعطي صورة عن طبيعة مياهها وحالة الرعي فيها فيقول : « ان أكثر السفن الصينية تحمل من البصرة وعمان وتعبأ بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه ، فاذا عبأ المتاع استعذبوا الماء الى موضع منا يقال له مسقط وهو آخر عمان وبين سيراف وهذا الموضع نحو مائتي فرسخ ، وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف ٠٠٠ وفي غربي هذا البحر جبل عمان وفيها الموضع الذي يسمى دردور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلك فيه الصينية وفيه جبلا كسير وعوير فاذا جاوزت الجبال صرت الى موضع يقال له صحار عمان فيستعذب الماء من مسقط من بئر فهيا وهناك جبل فيه رعاء غنم من بلاد عمان فتختطف السفينة فيها الى بلاد الهند وتقصد الى كولوكلي وفيها مساحة لبلاد الهند وبها ماء عذب فاذا استعذبوا من هناك الماء أخذوا من المركب الصيني الف درهم ومن غيرها عشرة دنانير الى العشرين دينارا » (٣٣) ٠

أما ابن خرداذبة فيوضح أهمية موقع عمان في التجارة الدولية آنذاك من خلال وصفه لمسلك التجار اليهود الراذانية في نص طويل ننقله فيما يلي : « ٠٠٠ الذين (أي التجار اليهود) يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والأندلسية والصقلبية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المرغب الى المشرق برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فتحة في البحر العربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون الى البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجوا الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ثم يركبون في البحر المغربي فربما دخلوا بتجارتهم الى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك وان شاؤوا حملوا تجاراتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الارض ثلث مراحل الى الجابية ثم يركبون في الفرات الى بغداد ثم يركبون في دجلة الى الابلة ومن الابلة الى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض » (٣٤) ٠

ويصف ابن حوقل موارد عمان قائلا : « ... وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها فسحة كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وقصبتها صحار وهي على البحر وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة » (٣٥) . ويشير كذلك الى وجود اللؤلؤ فيها ويقارن لك بما هو موجود منه في سرنديب فيقول: « وبعمان وبسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ ... » (٣٦) .

أما المقدسي فيتطرق الى نواح عديدة من الحياة الاقتصادية في عمان فيقول : « ... والمسقط ... كثير الفواكه ... وعمان كورة جليلة ... كلها نخيل وبساتين عامة سقيامها من آبار قريبة ينزعها البقر أكثرها في الجبال ... » (٣٧) . ويعود المقدسي فيذكر ما يرد الى عمان من السلع التجارية : « ... فالى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك ... » (٣٨) . ثم يشير الى وحدات وزنهم فيقول : « ولعمان المن » (٣٩) ، ولكنه لا يحدد وزنه . ثم يذكر دينار عمان وقيمته : « ودينار عمان ثلاثون درهما غير انه يوزن » (٤٠) ولعل في هذا ما يفسر قول قدامة بهذا الصدد حيث يذكر « ان سعر الصرف ١٥ درهما بدينار » (٤١) .

وآخيرا فالاصطخري عند تعرضه الى منتوجات عمان الزراعية يذكر ما ذكره المقدسي حرفيا ولو بشكل مختصر : « وعمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك ... » (٤٢) .

مناخ عمان :

يصف ابن الفقيه بعض مظاهر مناخ عمان وما يعيش فيها من الحشرات فيقول : « ... ما يقاسيه أهل عمان ... من أذى السمائم القاتلة وما يعانونه من الهواء الكدر الغليظ والماء السخن الزعاق وكثرة الذبان والجعلان والخنافس والحيات والعقارب والجرادات والنمل والبعوض والبق والجرجس وذوات السموم القاتلة والحشرات ... » (خ٤) . ثم يصف شدة حرارتها بشكل خاص فيقول : « حرها شديد وصيدها عتيد ... » (٤٤) .

أما ابن حوقل فيسير الى جانب آخر من جوانب مناخها لم يذكره غيره من الجغرافيين وهو سقوط الثلج في بعض مناطقها البعيدة عن البحر ولكنه لم يره بل

سمع عنه فهو يقول : « ... وعمان بلاد حارة جرومية ، وبلغني ان بمكان فيها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج رقيق ولم أر من شاهد ذلك الا بالبلاغ » (٤٥) .

ويصور المقدسي ارتفاع نسبة الرطوبة في جو عمان فيقول : « وينزل عليهم في الليالي شبه الدبس » (٤٦) .

هنا نجد الاصطخري يتفق مع ابن حوقل (٤٧) في نفسه المذكور اعلاه كلمة كلمة دون أي تغيير .



بعد هذا الاستعراض لما يقدمه جغرافيو القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي من مادة عن عمان ، لا بد لنا أن نتساءل : ما هي القيمة التاريخية لهذه المادة ؟ وللاجابة على هذا السؤال لا بد لنا ان نؤكد الحقائق التالية :
(أولا) انها مادة وفيرة من حيث الكمية خاصة اذا ما قارناها بما هو متوفر في مصادرنا التاريخية من نفس هذه الفترة التي نحن بصددها .

(ثانيا) انها من حيث النوعية تعتبر مادة جيدة لكونها تعتمد في معظمها على المشاهدة والمعاينة لا على البلاغ والرواية الشفوية ، الا في الندر حيث يشار الى ذلك كما هو موجود في مساق بحثنا هذا .

(ثالثا) ان طبيعة هذه المادة تختلف عن غيرها في كونها تشمل نواحي كثيرة لا تهتم بها كتب التاريخ العام أو المحلي ، مثال ذلك الوصف الدقيق والشامل للمدن كما على سبيل المثال وصف المقدسي لمدينة صحار الذي تجده فيما تقدم له أو في الاشارة الى الموازين والعملة وطرق الري ووسائله ونوعية المياه والضرائب الزراعية وكمية الخراج وطبيعة المناخ ومناطق الرعي والمنتوجات الزراعية والتجارات وطرقها وطرق الحج البرية والبحرية والمسافات بين الأقاليم وما يترتب على الموقع الجغرافي من همية تجارية اضافة تخطيط المدن ونوعية بناء مساكن أهلها وحالهم وولائهم السياسي أحيانا . وهكذا فاهمية هذه المادة كثيرة جدا .

(رابعا) على انه لا بد من القول هنا ان مما ينقص كتابات جغرافيينا هؤلاء هو خلوها من أي وصف للأحداث السياسية في هذا الاقليم ، وكذلك عدم توفر الدقة في تحديد الأقسام الادارية – ان وجدت – في تلك الفترة .

المصادر والهوامش

١ ـ انظر مثلا : عبد الرحمن عبد الكريم ، عمان في العصور الاسلامية الاولى ودور اهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي في الملاحة والتجارة الاسلامية ، رسالة دكتوراه اجيزت من كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، ١٩٧٥ •

٢ ـ الاكليل ، ج٢ ، ص ٢٧٠ ، القاهرة ١٩٦٦ •

٣ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٣٠ ، ليدن ١٩٠٦ م • ومزون من اسماء عمان بالفارسية ، وكانت العرب تسمي عمان المزون • وقال ابن بري والمزون قرية من قرى يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم • انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص ٤٠٧ •

٤ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٢ •

٥ ـ الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١ ، احسن التقاسيم ، ص ٥٩ •

٦ ـ احسن التقاسيم ، ص ٦٨ ـ ٦٩ •

٧ ـ نفس المصدر ، ص ٩٣ •

٨ ـ المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، القاهرة ، ١٩٦١ م •

٩ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٢ ـ ٩٣ • (ولا ادري كيف وصلت ناقة رسول الله الى هناك وكيف كان بروكها) •

١٠ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٢ ـ ٩٣ •

١١ ـ المسالك والممالك ، ص ٢٧ •

١٢ ـ صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥ •

١٣ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٣ •

١٤ ــ كتاب البلدان ، ص ١١ •

١٥ ــ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ليدن ١٨٨٩ •

١٦ ــ احسن التقاسيم ، ص ١٠٥ •

١٧ ــ كتاب البلدان ، ص ١١ •

١٨ ــ المسالك والممالك ، ص ٦٠ •

١٩ ــ صورة الارض ، ص ٤٥ ، (طبعة بيروت بلا تاريخ) •

٢٠ ــ نفس المصدر ، ص ٤٥ •

٢١ ــ احسن التقاسيم ، ص ١١٠ ــ ١١١ •

٢٢ ــ المسالك والممالك ، ص ٢٧ •

٢٣ ــ صورة الارض ، ص ٤٧ •

٢٤ ــ صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٩ •

٢٥ ــ المسالك والممالك ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨ •

٢٦ ــ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩٢ ــ ١٩٣ •

٢٧ ــ المسالك والممالك ، ص ٥٩ ــ ٦٠ •

٢٨ ــ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩٣ •

٢٩ ــ كتاب البلدان ، ص ١٦ •

٣٠ ــ نفس المصدر ، ص ٣٠ •

٣١ ــ نفس المصدر ، ص ١١٤ •

٣٢ ـ نفس المصدر ، ص ١٣٥ ٠

٣٣ ـ نفس المصدر ، ص ١١ ـ ١٢ ٠

٣٤ ـ المسالك والممالك ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ٠

٣٥ ـ صورة الارض ، ص ٤٤ ٠

٣٦ ـ نفس المصدر ، ص ٥٢ ٠

٣٧ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٣ ٠

٣٨ ـ نفس المصدر ، ص ٩٧ ٠

٣٩ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٩ ٠

٤٠ ـ نفس المصدر ، ص ٩٩ ٠

٤١ ـ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٤٩ ٠

٤٢ ـ المسالك والممالك ، ص ٢٧ ٠

٤٣ ـ كتاب البلدان ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ٠

٤٤ ـ نفس المصدر ، ص ٩٢ ٠

٤٥ ـ صورة الارض ، ص ٤٥ ٠

٤٦ ـ احسن التقاسيم ، ص ٩٥ ٠

٤٧ ـ المسالك والممالك ، ص ٢٧ ٠